الأوبئة والأمراض وأثرها على الحياة العامة في فلسطين من العصر الراشدي وحتى الآن (639م-2020م)

عبد الجبار رجا محمود العودة

مدرسة ذكور دير الغصون الثانوية

ملخص الدراسة:

تنتشر الأمراض التي تسببها الفيروسات في كل أنحاء العالم، وفقاً لمدى تقدم سبل الوقاية والعلاج والقضاء على ناقلات المرض مثل القوارض والناموس والذباب. والمرض يصيب الإنسان والحيوان، وتسببه جرثومة موجودة في الحيوانات القارضة أو البراغيث الموجودة عليها(أبو الحب، 1982 63).

وحين يبدأ المرض في الانتشار خارج حدوده المعتادة فإنه يتحول إلى وباء، والذي تعرّفه منظمة الصحة العالمية بأنه تفشي المرض بأسلوب غير متوقع ويستدعي الاستنفار، وفي هذه الحالة يصبح الوباء كارثة، وخاصة إذا حدث تهديد بانتشاره في كل أنحاء العالم، لتأثيرها السلبي الحاد على المجتمع البشري، وهكذا لا توجد حدود فاصلة بين المرض والوباء، فالمرض يمثل الخطر والوباء هو الكارثة. (محسوب، وزميله 2000 195).

الكلمات الدالة: الأوبئة والأمراض، الحياة العامة، فلسطين، الخلافة الراشدة

مشكلة الدراسة:

النظر في الماضي بخصوص الأوبئة وتأثيراتها في المجتمعات، والتأمل في كيفية مواجهة أجدادنا للوباء، مهمة للبحث في الظروف الاستثنائية التي يعيشها العالم بسبب وباء الكورونا 2019، من أجل دراسة أخبار الماضي لاستخلاص دروس تفيدنا في الحاضر والمستقبل.

أهمية البحث

1- اهتمام علماء المسلمين بمثل هذه الأوبئة بالتأليف والدراسة.

2- الأثر الكبير الذي تركته هذه الأوبئة على النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في فلسطين.

3- تناثر المعلومات في المصادر المختلفة حول الموضوع وإخراجها في إطار دراسة علمية.

4- التهديد المستمر الذي تشكله هذه الأوبئة على حياة الإنسان وحضارته.

المقدمة

شهدت فلسطين وعموم بلاد الشام أحداثاً مهمة عبر تاريخها، إذ كانت على الدوام مسرحاً للحروب والمعارك، وفي ذات الوقت لم تسلم من الأوبئة والجوائح والزلازل والمجاعات، ويمكنني القول: إن البلاد بليت برباعية الموت والحروب، والمجاعات، والأوبئة والزلازل؛ حيث كانت تجتاح فلسطين بين الفينة والأخرى إحدى هذه الأربعة القاتلة، فتحصد من حين لآخر مجموعات قد يقل عددها أو يكثر، تبعاً لحدوث الكارثة وامتدادها زمنياً وانتشارها جغرافياً.

تعرضت فلسطين للكثير من الأوبئة، بدأت بمحنة النبي أيوب عليه السلام في التوراة (*العهد القديم*، سفر أيوب، الاصحاح السابع)والقرآن (سورة ص، آيا 41- 44)، وما قاساه من ألم، حيث ابتُلِيَ في جسده بأنواع من البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، فأصبح مرض الجذام (مرض جلدي معد، يؤدي إلى تقرحات جلدية شديدة تتفاقم لتتسبب تلف في الأعصاب) من الأمراض السارية في فلسطين، وأصبحت امتحاناً لصبر المؤمنين، وعقاباً على ابتعاد الناس عن الصراط المستقيم.

يشهد العالم هذه الأيام جائحة لم تعرف البشرية لها مثيلاً، و هي وباء (كورونا) ، و يستطيع العلم والإنسان السيطرة عليه وعلاجه ، وبصراحة لا نعلم كيف ومتى بدأ وباء كورونا، والذي نعلمه أن الوباء بدأ في الصين وانتقل إلى جميع أنحاء المعمورة.

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الخلافة الراشدة

ارتبط اسم فلسطين في التاريخ بطاعون عمواس الذي انتشر في بلدة عمواس (بلدة في فلسطين تقع بين الرملة وبيت المقدس، تكثر فيها الينابيع الحارة) قضاء اللد عا 18ه 639م، بين الجيوش الإسلامية بداية الفتوحات الإسلامية، فهلك الكثير من سكان الشام، منهم أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل (ابن كثير 1990 93- 94)، وفي ولاية عمرو بن العاص عولج الوباء بإشعال النيران وخروج الناس إلى الجبال (ابن كثير 79).

أشهر طاعون أصاب بلاد الشام، كان طاعون عمواس في فلسطين، الذي قضى على عشرين الفاً من المسلمين (الجعفر 2010 60)، حتى أطلق عليه اسم الفناء أو الوباء لشدة فتكه بالبشر (بركات 2016 9)، وهو عدد قليل إذا ما قورن بطاعون جستنيان عام 541 542م (نسبة إلى الإمبراطور جستنيان الأول 27 565م)، بدأ عام 541م، ويعتبر أول جائحة في التاريخ لأنه اجتاح ثلاث قارات)، حيث قضى على خمسة وعشرين مليوناً خلال قرنين من الزمن، والموت الأسود (يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى وباء الطاعون الذي اجتاح أنحاء أوروبا بين عام 347 1352م، وتسبب في موت ما لا يقل عن ثلث سكان القارة)الذي اجتاح أوروبا وغرب آسيا في القرن الرابع عشر الميلادي.

وقد عالج العرب هذه الأوبئة عن طريق العزل، والانتقال إلى الأماكن المرتفعة، والابتعاد عن مركز الوباء أي الحجر الصحي، ولكنه لم يطبق إلا بشكل بدائي، تطبيقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها، وإذا وقع ولستم بها فلا تقدموا عليه" (ابن حنبل 2006 176). وفيه إشارة واضحة إلى ما يُطبّق اليوم علمياً وعملياً من الحجر الصحي بهدف مواجهة الأوبئة المنتشرة، فرسول الله صلى الله عليه و سلّم لم يكتفِ بأنْ أمرهم بعدم القدوم على الأرض الموبوءة، بل أتبعها بأن أمر من كان في أرض أصابها الطاعون ألا يخرج منها؛ وذلك لمنع انتشار العدوى، بانتقال الوباء إلى مناطق أخرى.

انتشار الأوبئة في فلسطين عهد الدولة الأموية

كان قدر الدولة الأموية أن تحكم العالم الإسلامي في ذروة فتك الطاعون بالناس، فقد اجتاح الطاعون بلاد الشام في تلك الأيام ، و تحديداً عام 662هـ 1225م، وقضى على كثير من الخلق، ودمر بلاداً كانت عامرة، حتى أصبح المؤرخون يؤرخون بتلك الأيام، فأرخ ابن حجر العسقلاني بقوله: "إن الطواعين أيام بني أمية كانت لا تنقطع بالشام" (العسقلاني 363).

أصاب البلاد في عام 87هـ/ 705م طاعون الفتيات لأنه أصاب النساء دون الرجال، بينما سماه بعضهم طاعون الأشراف؛ لكثرة ما توفي من أشراف القوم وأكابرهم (فاضل 2011 105).

وكان آخر ما حدث من الطاعون هو طاعون مسلم بن قتيبة سنة 131هـ 748م، الذي سُمّيَ باسمه؛ لأنه أول من مات به، وكان سبباً في سقوط الخلافة الأموية؛ بسبب عجز الدولة آنذاك عن مواجهة هذا الوباء، وكان لجهل الناس بأسباب وطرق الوقاية منه الدور الأكبر في انتشاره إلى بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا، مخلفاً خللاً ديمغرافياً امتدت آثاره سنوات طويلة.

لم تتخذ الدولة الأموية أي إجراءات لمقاومة الطاعون سوى النداء لإخلاء الناس المناطق الموبوءة، وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان قد أمر الناس بالخروج من مناطق الوباء، لكنّ الصحابي أبا الدرداء أمير الشام رفض تنفيذ أوامر الخليفة معاوية، لما في ذلك من سرعة انتشار الوباء إلى مدن وقرى أخرى بسبب الفارين منه (العكبري 1994 226)، بالإضافة إلى أن هذه السياسة مخالفة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نهى عن الخروج من مناطق الوباء، وعلى الرغم من ذلك استمر خلفاء بني أمية بالفرار من الطاعون إلى البرية، ولم يشذ عنهم إلا الخليفة عمر بن عبد العزيز (ابن سعد، 1968 398).

دفن الناس موتاهم في البداية كما هي العادة، تكفين وصلاة عليهم، إلا أن كثرة الوفيات بالطاعون جعلت من الصعب إيجاد من يجهز ويكفن ويحفر القبور، فكانوا يدفنون موتاهم دون تجهيز وصلاة عليهم، فكان تجهيز المتوفى للدفن عملاً فوق طاقة الأسرة، وإيجاد موضع جديد للحفر في المقابر أمراً صعباً.

قام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ببناء أول مشفى بيمارستان في دمشق؛ البيمارستان: لفظ فارسي يتكون من مقطعين، هما: البيمار وتعني المرضى، وستان تعني الموضع، فيكون معناها موضع المرضى أو بيت المرضى، وهو المكان المخصص لإقامة المرضى من أجل تلقي العلاج. (ابن اصيبعة 172) ، وأصدر أمراً بعزل المصابين بالجذام، وتجنب اختلاطهم ببقية المرضى في المستشفى، وأجرى لهم الرواتب، وقدم العلاج بالمجان، وانتقى أفضل الأطباء لخدمتهم.

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الدولة العباسية

أصاب فلسطين في أول عهد الخليفة هارون الرشيد طاعون وصفته المصادر بأنه جارف، وربما أتى على جميع أهل البيت، وبشكل عام قل حدوث الطاعون في بلاد الشام أيام الدولة العباسية، مقارنة بما كان عليه الحال قبل ذلك، حتى إن أحد أمراء العباسيين في الشام، خطب فقال: "احمدوا الله الذي رفع عنكم الطاعون منذ ولينا عليكم" (العسقلاني 364).

انتشر سنة 423هـ 1031م وباء الجدري، وكثر الموت واستمر ستة شهور، وكان متفشياً في الصغار أكثر من الكبار، وانتشر بشكل كبير بحيث لم تخل دار منه (ابن الأثير 2006 205)، وقد ذكر مجير الدين الحنبلي في كتابه الانس الجليل عن وصول وباء الطاعون إلى فلسطين عام 897هـ 1491م، وافنى عدداً من السكان، قدر عدد الوفيات مر 0 40 شخصاً يومياً (الحنبلي، 1999 487).

كان الحجر الصحي يتم بالعزل والحبس أحياناً، والطرد والنفي أحياناً أخرى، وتحويل قرية أو بلدة بأكملها إلى موقع محاصر يمنع اقتراب الناس أو الخروج منه، كما كان يتم في المغاور على أطراف المدن والقرى، فمثلاً كانت كنيسة الخضر أو القديس جورجيوس في قرية برقين قضاء جنين، معقلاً للحجر الصحي والتي أقيمت على مغارة قديمة استخدمها أهل تلك البلاد لحجر الرجال العشرة البرص (الجذام)(جبور 2015، 21)، الذين شفاهم النبي عيسى في ما اعتبر إحدى معجزاته.

كما استخدم أهل البلاد الآبار وأتوان (التون: حفرة على شكل بئر يستخدم لصناعة الكلس أو الشيد للبناء) الكلس كمحاجر لعزل المصابين بالأوبئة، وكثيراً ما تحولت هذه المواقع إلى قبور جماعية خصوصاً في حالة الأمراض المعدية.

اهتم الخلفاء العباسيون بإنشاء المشافي، حيث نسبت بأسمائهم، كما فعل الخليفة العباسي المقتدر بإنشائه مشفى المقتدري (ابن الأثير 502)، و كانت الدولة تستعين بالأطباء في اختيار مكان المشفى، فقد استعان عضد الدولة وزير الخلافة العباسية بالطبيب أبي بكر الرازي في بناء مشفى العضدي في بغداد (السباعي 1998، 101).

لذلك كان في فلسطين حركة طبية، سايرت التقدم العلمي الذي شهده العالم الإسلامي، ووجد بها عدد من الأطباء في مجال الطب والصيدلة، منهم: محمد بن أحمد بن سعيد التميمي، الذي كان في مدينة الرملة (وليم الصوري 1992، 332)، ويوسف النصراني الذي كان عارفاً بصناعة الطب والعلوم الأخرى (وليم الصوري 545).

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الاحتلال الصليبي

كان من أشد ما بليت به البلاد توافق الحملات الصليبية ووباء الطاعون على فلسطين والشام، وذلك من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر 1096-1291)، فاجتمعت على البلاد آفتان معاً، إذ توالت السنوات بوقوع الطاعون والأوبئة، فنجده تارة يفتك بالصليبيين كما في الطاعون الذي فتك بجيوشهم التي حاصرت مدينة أنطاكية ثم احتلتها خلال عام 1907- 1908م (وليم الصوري 1992، 332)، ونجده تارة أخرى يفتك بأهل البلاد المحاصرين كما في الطاعون الذي بدأ بدمشق سنة 1153م، وكذلك وباء عام 1190م، الذي فتك بجيش المسلمين المتوجه إلى عكا. (ابن كثير 93- 94)، وفي سنة 574هـ 1178م انحبس

المطر في بلاد الشام ومنها فلسطين، ونتيجة لذلك اشتد غلاء الأسعار بشكل كبير جداً، وأكل الناس الميتة، وتبع ذلك وباء عام كثر فيه الموت (العسقلاني 230).

وقد ذكر ابن الاثير أن مرضاً يسمى السرسام وهو ورم في حجاب الدماغ يحدث عنه حمى دائمة، ويتبعها اعراض سيئة كالسهر واختلاط الذهن. (مصطفى، واخرون 885).

أصاب الناس، واستمر إلى بداي 576هـ 1180م، أدى إلى موت عدد كبير من الناس. كانت الأديرة والكنائس في فلسطين بمثابة مواقع للحجر الصحي، إذ تطوع الرهبان فيها لرعاية المصابين بالطاعون والجدري من أجل التكفير عن ذنوبهم، وقد ارتبطت هذه المواقع بالغزو الصليبي للبلاد، إذ أقامت فرقة الاسبتارية الصليبية عاد 1130م هيئة استشفائية خارج سور القدس، في الركن الشمالي الشرقي للمدينة على الطريق المؤدي إلى جبل الزيتون، لمعالجة المصابين من فرسان الفرقة.

كما استخدمت زوايا الصوفية للحجر الصحي، مثل زاوية الشيخ الرومي في قرية عين ماهل في الجليل، وما زالت جدران الزاوية مثبت فيها مرابط الجنازير التي كانت تربط بالمصاب لطرد المسّ الشيطاني أو الجن منهم حسب اعتقادهم الصوفي، واتخذ البعض ضفاف الأنهار ملاذاً لهم، كنهر الأردن لقداسته الدينية عند المسيحيين، بهدف الاستشفاء بمائه المقدس (رحيل 2020).

وبعد فتح مدينة القدس وتحريرها عاد 1187م على يد صلاح الدين الأيوبي نقل حجر المصابين من الصليبيين إلى مدينة عكا في أماكن تشبه المشافي، وما زال سكان المدن والقرى يطلقون على المشافي لفظ الاسبتار أو الأسبطار نسبة لفرقة الاسبتارية الصليبية التي ارتبط المشفى كحجر صحي باسمها(رحيل 2020).

انتشار الأوبئة في فلسطين عهد الدولة المملوكية

تشير المصادر التاريخية إلى أن الطاعون لم يتوقف عن غزو بلاد الشام، وظل يطل عليها بين الفينة والأخرى، لكنه صار أشد فتكاً وأكثر قسوة في العهد المملوكي 1250- 1517)، ولا تنفك تلك المصادر تتبع أخباره وذكر ما أفنى من الخلائق، وذكر القرى والضياع التي خربت بسببه ولم تعمر بعد ذلك، حتى إن البلاد في العهد المملوكي ما عرفت الهناء والرخاء، وظل شبح الموت يلاحقها بفعل الأوبئة والطواعين، فقد تعرضت البلاد لطاعون اجتاح معظم البلاد عا 748هـ 1347م، اطلق عليه اسم الطاعون الأعظم؛ لسعة انتشاره وشدة فتكه بين سكان دمشق وحلب والقدس والسواحل (الطراونة 2010 47- 48)، وجنين والرملة وعربان البوادي (ابن بطوطة 1981 114). وفي عام

790هـ 1388م تعرضت البلاد لعدة أوبئة وأمراض تفشت في غزة والقدس وحلب (ابن إياس 1975، 365)، واستمر يفتك بالبلاد حتى عا 796هـ 1394م ، وأدى إلى هلاك أعداد كبيرة من الأطفال والصبيان وكبار السن (ابن يحيى 1967 216).

وبعد انقطاع طويل، عاد وظهر في عا 805هـ 1402م الفناء العظيم، وأفنى خلقاً كثيراً من السكان في بلاد الشام ومن ضمنها فلسطين (الدويهي 1976 338)، وفي عا 813هـ 1410م تفشى الطاعون في نابلس وعجلون وأفنى أعداداً كبيرة (ابن إياس 803). وفي عا 819هـ 1416م وصلت جرثومة الوباء العظيم إلى مدينة دمشق، وانتقلت العدوى إلى القدس وصفد وطرابلس، وقدرت حالات الوفاة بالآلاف من السكان (ابن الصيرفي 1970 363)، واستمر الوباء في الانتشار إلى أن وصل غزة، والرملة، والقدس والخليل والكرك، وقدر عدد الوفيات في هذه البلاد بالآلاف، معظمهم من الأطفال والنساء والخدم (المقريزي 1970 639).

كما تفشت الأوبئة والأمراض بين سكان بلاد الشام في الأعوام 831هـ 1428م- 833هـ 1430م، وكانت شديدة التأثير والفتك بسكان مدينة غزة والرملة والقدس وصفد، ومات بسببها معظم الأطفال والشباب، ووصف المقريزي هذا المرض بأنه نزلة من الدماغ إلى الصدر فيموت خلال ساعة من غير ظهور أعراض المرض عليه (المقريزي 767 803 824 829)، ثم عاد الوباء عا 838هـ 1434م، واستمر السكان يعانون منه حتى عا 841هـ 1437م، إذ اشتد تأثيره في صفد والغور والرملة وغزة، وحصد الآلاف من السكان (المقريزي 1024- 1048).

. وفي عا 863هـ 1459م نشأ طاعون في البلاد، وكان تأثيره كبيراً في مدينة غزة والقدس، حتى إنه حصد أهلها (ابن إياس 350 354)، ولكثرة الوفيات تركت الجثث في العراء مدة ثلاثة أيام، ولم يتمكن حفارو القبور من دفن الجثث، وتطوع الناس لحملها على السلالم والأبواب لدفنهم، واستمر الوباء إلى عا 898هـ 1492م بعد أن أصاب غزة والقدس والرملة والخليل (العليمي 63).

بالإضافة للطاعون كان للحميات وأمراض الجدري والجرب تأثير كبير في الحد من النمو السكاني؛ فالأطفال الذين يولدون يموتون في غضون يوم أو يومين (المقريزي 824).

اهتم المماليك في هذه الفترة بإنشاء المشافي، المعروفة بالمارستان، لمداواة ورعاية المرضى، وأُلحِقتْ بها غرف الحجر الصحي(صلاح 2009 120)، على يد سيف الدين تنكز، وأماكن الحجر للمسافرين والحجاج، واهتموا بمد قنوات المياه إلى مدينة الخليل والقدس أيام الظاهر بيبرس

والناصر بن قلاوون، فقد عمد بعض الحكام والأثرياء استجابة لتعاليم الدين الإسلامي والتي تحض على دفن الميت بأسرع وقت ممكن حفاظاً على حرمته وكرامته، إلى إنشاء ما سُمّيَ بحوانيت أو مغاسل الموتى، والتي تهتم بتغسيل وتكفين الفقراء من موتى المسلمين، ثم يتم دفنهم وفق الشريعة الإسلامية؛ و لأن الناس كانت تموت بأعداد كبيرة في فترة الوباء فإن الجثث كانت تترك ثلاثة أيام أحياناً على الأرض ولا يوجد من يواريها خوفاً من العدوى (الطراونة 55).

كما ظهر بعض الأطباء الذين اهتموا بمعالجة هذا الوباء من خلال مصنفاتهم، مثل: جلال الدين السيوطي صاحب كتاب مقامة في الحمى، وابن حجر العسقلاني صاحب كتاب بذل الماعون في فصل الطاعون، وبدر الدين البدليسي صاحب كتاب رسالة في الطاعون وجواز الفرار منه، وأحمد بن محمد الحنفي صاحب كتاب الرد المكنون في الكلام عن الطاعون، وجميعها قدمت وصفات طبية لمعالجة السعال الذي يرافق الأوبئة.

أدت الأوبئة في العهد المملوكي إلى إخلال في التركيبة السكانية، حيث حدث تباين كبير في الكثافة السكانية بين المدن والقرى، فاختفى كثير من القرى اختفاءً تاماً بفعل الوباء، و نتج عن ذلك تغير ديموغرافي، حيث قل عدد الفلاحين، وقلت المنتوجات والمحاصيل الزراعية والحيوانية، ونجم عن ذلك غلاء في الأسعار، ولجأ بعض ضعاف النفوس من التجار وأرباب الصنائع إلى استغلال الأزمة باحتكار السلع الأساسية لزيادة ثروتهم، بينما مال بعض المحتاجين والمعدمين إلى السرقة والاحتيال، و أدى ذلك إلى انهيار أخلاقي في المجتمع. وأهلك الوباء الكثير من الأتقياء ورجال الدين والعلماء الصالحين، فشكل ذلك فراغاً في المرجعية الدينية، حتى إن الناس بدأوا يلجؤون في تلك الفترة إلى المشعوذين والمنجمين حتى يسدوا الفراغ الروحي لديهم (الطراونة 45- 46).

انتشار الأوبئة في فلسطين عهد الدولة العثمانية

خلال الحكم العثماني لفلسطين لم تتوقف الأوبئة، حيث انتشر الطاعون فيها خلال الأعوام 1562م 1573م- 1574م 1579م 1587م 1619م 1661م 1785- 1786م، و كان للحملة الفرنسية على فلسطين عا 1799م، أثر كبير في تفشي مرض الطاعون نتيجة تحلل جثث القتلى من الفرنسيين، وقد تفشى في سكان يافا ، وأدى إلى خراب المدينة وهجرها لمدة اثني عشر عاماً، كما عاث الطاعون فساداً في جميع المدن التي رافقت الحملة الفرنسية مروراً بغزة ويافا وحيفا ثم عكا، وقد رافق الطاعون الدمامل التي تفشت في الأجسام بسبب القوارض والبراغيث التي كانت

تحملها إلى المصابين، وهو السبب الرئيس في انسحاب نابليون من فلسطين وعودته إلى فرنسا، إلا أن الطاعون دمر الحياة الاقتصادية في فلسطين (سعيد 2008 19).

وفي سنة 1812م انتشر الطاعون في الآستانة، ثم انتقل بجبة جوخ أرسلت كهدية إلى يهودي في عكا، فانتشر الوباء فيها بشكل سريع إلى يافا والقدس، ومن جملة من مات به الطبيب الراهب الإسباني فرانسيسكو لوبيز، الذي عالج أحمد باشا الجزار، كما مات بالطاعون أيضا الرحالة الألماني اولريش زيتش سنة 1813م(بركات 12).

تبنت الدولة العثمانية سياسة الحجر الصحي (الكوارنتينا) ،الكوارنتينا: أو كرنتينا، أو قرانتينه، أو تحفظ خانه كما ورد في نقش عثماني على مدخل كرنتينا في الخليل، هي مكان الحجر الصحي وتعني بالعربية أربعين يوماً. (هلون، معين 2019 714- 715).

للوقاية من مرض الطاعون، ولا تزال بعض المدن الفلسطينية تحتفظ بالأماكن التي أسست قديماً لغرض الحجر الصحي، وهناك من يعتقد بأن كلمة قرنطل في اسم الدير المسيحي في أريحا الذي سمي من قبل الصليبيين، إنما جاء من كلمة كورنتينا بحكم الاعتقاد بصوم سيدنا عيسى واعتزاله لأربعين يوماً في هذا المكان (الدباغ 2006 548)، كما يوجد كارنتينا في القدس بجوار كهف الأدهمية خارج باب العمود، ثم في عام 1849م أقيمت كرنتينا جديدة خارج السور قرب قلعة باب الخليل.

ويعود الفضل في تطبيق الحجر الصحي إلى طبيبين عربيين هما قاسم أبو عز الدين وحمدان بن عثمان خوجه على أسس صحية وعلمية، وقد أتت توصيات حمدان بن عثمان خوجه ثمارها خلال عامين من تبني السلطان محمود الثاني مبادئ الحجر الصحي.

ومع الغزو المصري لبلاد الشام، بدأت سياسة الأمن الوقائي من الأمراض المعدية، فأقام محمد علي باشا المحاجر الصحية بعد تعرض مدينة عكا إلى مرض الملاريا عام 1835م والتي كادت تفتك بإبراهيم باشا نفسه، فأقاموا المشافي العسكرية في عكا وشفا عمرو وترشيحا وغزة لمعالجة الجنود المصريين المصابين بالملاريا والكوليرا، حيث خصصت هذه المحاجر بالدرجة الأولى لمعالجة الجنود وليس أهل البلاد، حيث يتم عزلهم في مناطق توطّن الوباء، فحين علم ناظر الصحة في مدينة يافا وهو موظف مصري بوجود وباء في قرية دير حنا بين صفد وعكا، أرسل طبيباً ليفحص الأمر، وعندما تيقن من وجود الوباء عزلت القرية حتى فتك المرض بعدد كبير من سكانها (صافي 2019،

217- 218)، ولجأوا إلى قطع خطوط المواصلات بين المدن والقرى، كما حصل عا 1838م حين قطعت خطوط المواصلات بين يافا والقدس.

وفي عا 1835م سمح محمد علي باشا لليهود والمسيحيين بإقامة المحاجر الصحية في يافا لاستقبال الحجاج، بناء على طلبهم واحتجاجهم على المحاجر في بيروت (العقرباوي، *تاريخ الحجر الصحي في فلسطين*، موقع الترا فلسطين)، وعلى أثر ذلك عانت يافا من تردي الوضع الاقتصادي فيها؛ لقلة الحجاج الوافدين اليها، وكان مما قاله إبراهيم باشا في موافقته على طلبهم: "سأوافق على طلبكم، وأسمح لكم بإقامة المحاجر في يافا ... أنا غير معني بالناس الآخرين، لكن يجب أن أفكر بجنودي الذين أفضل أن أراهم يموتون في المعارك على أن يموتوا بالطاعون الرهيب"(صا في 219).

فأصبحت مدينة يافا مركزاً صحياً لحجر المصابين، وازدادت حركة الحجيج والتجار والمهاجرين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مما جعل سكانها في حالة توجس وخوف من الأوبئة والأمراض التي قد ينقلها القادمون، إلى حد أنهم تداولوا النقود المعدنية من خلال وضعها في أكواب الماء، و كان على شاطئ يافا قارب الحجر الصحي ورجل أمن وموظف الحجر الصحي يستقبلون الوافدين إلى المدينة ليتم حجرهم داخل المدينة للتأكد من سلامتهم(روجرز 2012، 27)، فوجد بها أكثر من كرنتينا، مثل: كرنتينا التحتانية جنوب يافا، والكرنتينا الفوقانية داخل السور، وكرنتينا دير الروم، وكرنتينا دير الأرمن، وكرنتينا الهدار.

وأنشأ محمد علي باشا كرنتينا في بلدة الشيخ زويد شمالي سيناء لحجر القادمين إلى مصر من بلاد الشام، كما أنشأ العثمانيون كرنتينات في غزة، والخليل عا 1848م، ونابلس، ولا يزال الأهالي يسمون الدرج الواقع بجانب المشفى الوطني باسم درج الكارنتينا.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر اهتمت الدولة العثمانية بالسيطرة على الوباء في موسم الحج، كما ظهر في هذه الفترة الطبيب قاسم أبو عز الدين 1854- 1928)- وهو طبيب لبناني، متخصص بالطب الوقائي واستاذ الطب في جامعة استنبول، وأصبح وزير الصحة في الدولة العثمانية ورئيس المجلس الصحي الدولي المتخصص بالطب الوقائي- ، فأقام غرف الحجر الصحي لحماية الحجيج من تسرب الأوبئة وخصوصاً الكوليرا.

وفي هذه الفترة كانت فلسطين مرتعاً لموجات متكررة من الأمراض وعلى رأسها الكوليرا والتيفوس والتيفوئيد التي اجتاحتها في سنة 1838م، وسنة 1847م، وسنة 1865م، وسنة 1900م، وسنة 1905م، وقد قضت هذه الأمراض على مئات الآلاف من الجنود على الجبهات العثمانية خلال

الحرب؛ لذلك كان يتوجب على المسافرين القادمين إلى فلسطين البقاء بين 10- 12 يوماً في غرف الحجر الصحي.

وقد لمع روحي الخالدي في قيادة حركة الإصلاح الصحي في (مجلس المبعوثان)، ودعم مطالب الطبيب أبي عزالدين في إخضاع المراكز الصحية في فلسطين وباقي الولايات لسلطة الدولة المركزية، وقد لمع الدكتور توفيق كنعان المتخصص بالأمراض الجلدية ومرض الجذام في إدارة المشفى العسكري العثماني في القدس، وانتدبه الجيش الرابع بقيادة جمال باشا لإقامة المحاجر الصحية في سيناء وبئر السبع منعاً لتفشي الأمراض السارية والمعدية في أوساط الجيش، إلا أن ذلك لم يحل دون الموت بفعل الأوبئة (الطباد 2014 20) .

كان الحجر الصحي في هذه الفترة يقوم في التكايا، والتي يطلق عليها تكايا التنابل، فكانت أول تكية لرعاية المصابين بالجذام والحد من انتشار المرض في مدينة أدرنه التركية في عهد السلطان مراد الثاني (جوكتشه، وزملاءه 2016 264). وفي إطار محاولة الوقاية من الأمراض كان من تقاليد الفلاحين في فلسطين تربية الحمام في طاقات بيوتهم، لاعتقادهم بأن أعشاش الحمام تطرد الطاعون من البيوت (واتسر 2010 76).

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الاحتلال والانتداب البريطاني

كانت حركة الجيوش خلال الحرب العالمية الأولى عاملاً أساسياً في تفشي مرض الإنفلونزا الإسبانية، وقد دخل هذا الوباء إلى مصر من خلال سفينة بريطانية متجهة إلى ميناء سيناء عام 1918م، فأصبحت قناة السويس منطقة لتفشي المرض نحو يافا التي كانت المحطة الأولى لوصول فايروس الإنفلونزا الاسبانية لفلسطين، ومن ثم إلى موانئ الإسكندرية وبور سعيد وحيفا ويافا وطبريا، ومع احتلال مدينة حيفا تباطأت بريطانيا في توفير خطٍ مباشرٍ لإجلاء المصابين إلى الإسكندرية، حيث أنشئ مشفى ميداني، مما أدى إلى فتح خطوط عبر المدن الساحلية وتحسين الشبكات البرية، وإنشاء السكك الحديدية من سيناء إلى رفح عبر غزة، ومنها إلى بئر السبع واللد، وصولاً إلى القدس، وإضافة سكة حديد جديدة أخرى، وصلت بين يافا ونابلس وحيفا.

إن أكثر الأمراض انتشاراً في فلسطين هما الرمد والملاريا، فالرمد أصاب طلاب المدارس، وخاصة في القرى لعدم توفر العناية الصحية، فمنهم من فقد النظر في عين واحدة، ومنهم من فقد النظر كلياً، وقد قل انتشار هذا المرض في نهاية الانتداب بسبب إنشاء مراكز صحية في معظم مدن وقرى فلسطين، كما أنشئ مشفى سانت جون للعيون في مدينة القدس (Palestine and

(*Transjordan Administration Reports*, 1955,171-175) أما الملاريا فكانت منتشرة في المستنقعات الساحلية وخصوصاً في الكبارة قرب قيساريا، وشواطئ نهر الأردن وبحيرة الحولة، وامتدت إلى قرية بيت جبرين والقضاء على عدد كبير من سكانها.

كما أصاب قرية الدوايمة في الخليل وباء الجدري عا 1921م، حيث رفض الأهالي تطعيم أبنائهم وخبئوهم في الكهوف، لعدم قناعتهم وثقتهم بجدوى علاج الحكومة، لأن الطعم من صناعة اليهود، وكانت الحكومة قد أقامت مشفى ميدانياً لتطعيم جميع الأهالي، لكن كان من المفروض على الحكومة البحث عن الأطفال في الكهوف وأسطح المنازل.

وقد انتقل الوباء إلى مدينة القدس، حتى وصفها القساوسة بأنها أقذر مدينة زاروها أو عاشوا فيه (Thomas chaplin, 1846, 289-291)، بسبب حاجتها إلى المياه، لذلك كانت تستدعي إقامة أحواض وبرك خارج المدينة لتنقل المياه إلى داخلها عبر قنوات، غير أن تلك الأحواض والبرك والقنوات كانت مرعى خصباً لتكاثر الناموس الناقل للملاريا، الذي قضى على نصف سكان المدينة وخاصة الأطفال منهم .(Vicken V. Kalbian, 2016, 82-96)

وقد تعايش سكان المدينة مع الملاريا، وخاصة أن الدولة العثمانية لم تكن تطبق القواعد الصحية لمكافحة هذا المرض، لذلك كانت الإصابة كبيرة بين الجيوش والمدنيين، مما يدل على عدم كفاءة الدولة العثمانية في مكافحة المرض. ومن بين الضحايا العمال المصريون الذين جلبتهم بريطانيا لاحتلال فلسطين سنة 1917م، والتي كانت مهمتهم مد الخطوط الحديدية ونقل وتحميل الذخائر والمؤن على الجمال وباقي الأعمال اليدوية، وقد جلب هؤلاء العمال مرض البلهارسيا معهم إلى فلسطين، لكنهم كانوا أول ضحايا الملاريا بسبب عملهم في شمال فلسطين حيث تكثر المستنقعات، غير أن بريطانيا أهملت معالجتهم خلافاً للقوانين الصحية التي كانت مطبقة على جيوشهم.

في نفس الوقت عندما دخلت بريطانيا فلسطين، أدركت أهمية الحالة الوقائية الصحية، فاكتشفت دواء لمعالجة الملاريا المستخرج من شجرة الكينا التي استوردتها من أستراليا، وزرعتها في فلسطين عا 1920م، وصرف لكل جندي بريطاني حبة كوينين يومياً، وبذلك قلّت نسبة الإصابات بين الجنود مقارنة بالجيش العثماني. لذلك لجأت إلى محاصرة الجيش العثماني في المناطق المنخفضة المصابة بالملاريا، بينما تركز الجيش البريطاني في الأماكن الجبلية الجافة، الأمر الذي

ضمن سقوط القوات العثمانية قتلى بفعل الملاريا، وهو ما أسهم في تثبيت بريطانيا في الشرق. وبشكل عام كان اهتمام بريطانيا في فلسطين بتحسين اقتصاد المستعمرات، وذلك بمنع الأمراض عنها، والاهتمام بصحة العمال في مزارعها، فبدأت بتجفيف المستنقعات في الساحل الفلسطيني أماكن تواجد المستعمرا (Nadav Davidovitch and Zalman Greenberg, 2007, 398-406).

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الاحتلال الإسرائيلي

في عا 1948م ألقي القبض على يهوديين في غزة يحملان جراثيم لتلويث مياه غزة، حيث يتواجد الجيش المصري، وفي السنة نفسها قامت إسرائيل بتلويث مياه عكا بجرثومة التيفوئيد أثناء وجود الانتداب البريطاني، فسقط الكثير من الفلسطينيين ومن الجنود البريطانيين، ورفضت بريطانيا معاقبة اليهود على ذلك (Salam Abu Sitta, Traces of Poison–Israel Dark History Revealed,Palestine Land society). وفي نفس السنة استولت إسرائيل على بيت شكري التاجي الفاروقي في جنين، وأقامت فيه مركزاً لإنتاج جراثيم الطاعون والتيفوئيد وغيرها من الجراثيم، ضم المركز 370 موظفاً من بينهم 160 عالماً بيولوجياً (*The Nuclear Threat Initiative*, Israel overview). كذلك قامت بزرع الأوبئة على الحدود الفلسطينية مع جيرانها من الدول العربية؛ لتوقف التدخل العربي المحتمل في فلسطين (Salam Abu Sitta).

ولم تتوقف إسرائيل عن تلويث البيئة الفلسطينية، فقد أطلقت الغازات السامة على غزة، الأمر الذي أدى إلى زيادة السرطان وإسقاط الأجنة.

وفي عا 2009م ظهر وباء إنفلونزا الخنازير في المكسيك، لدى أشخاص يعملون في مزارع لتربية الخنازير بعد حدوث طفرة جينية للفيروس مكنته من الانتقال من الخنازير إلى الإنسان، وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية أن الوباء أصبح جائحة بعد تفشيه في العديد من دول العالم(موقع منظمة الصحة العالمية).

ويُرجّح أن انتشار فايروس إنفلونزا الخنازير في فلسطين أن يكون من المسافرين من فلسطين إلى دول أخرى، واختلاط المواطنين مع بعضهم البعض، الأمر الذي يسبب انتقال العدوى من خلال التنفس والهواء. واتبعت وزارة الصحة الفلسطينية طرق الوقاية من فايروس إنفلونزا الخنازير بإعطاء الطعومات للأشخاص الأكثر عرضة، وخاصة كبار السن، وممن يعانون من أمراض مزمنة، أو يعانون من نقص في المناعة (موقع،MAYO CLINIC).

بالإضافة إلى أن الكيان الصهيوني أطلق قطعاناً من الخنازير البرية على الأرض الفلسطينية، وأخذت تعيث في الأرض فساداً، والأهم أن هذه القطعان من الخنازير قد تعطي فايروس إنفلونزا إلى بعض الطيور دون أن يعلم بها الإنسان، وعن طريق أكل لحوم هذه الطيور يصل الفايروس إلى الإنسان.

نتيجة لانتشار هذا الفايروس بادرت الجهات المشرفة على الخدمات الصحية بسرعة تنفيذ البرامج الوقائية، وتوفير اللقاحات والأدوية المضادة التي من الممكن أن تقلل من المضاعفات الحادة والوفيات بين السكان، بالإضافة إلى برامج التوعية ومواصلة نشر المعلومات المتعلقة بالمرض(موقع وزارة الصحة الفلسطينية)

بدأ الشارع الفلسطيني أكثر تفاعلاً مع تداعيات الأزمة المتعلقة بالمرض؛ لأن انتشار الوباء ارتبط بحيوان انتشر بين تجمعاتهم السكنية، مما دفع المؤسسات ذات العلاقة لمكافحة هذه الظاهرة عبر عدة وسائل، منها التسميم بالمبيدات التقليدية أو رميها بالرصاص، غير أن وسائل المكافحة أثبتت عدم فعاليتها بسبب وجود المستوطنات الإسرائيلية وجدار الفصل العنصري، ومنع إسرائيل إدخال السموم والمبيدات ذات العلاقة إلى الأراضي الفلسطينية بعد عام 2003م بحجة تأثير هذه المبيدات على المياه الجوفية والحياة البرية وبحجج عسكرية غير معلنة، أهمها إعداد وتصنيع مواد متفجرة (موقع افاق البيئة والتنمية).

وقد أصدر قاضي القضاة في فلسطين تيسير التميمي بعدم إجراء أي عقد زواج قبل تقديم شهادة من مختبرات الصحة تفيد الخلو من وباء إنفلونزا الخنازير، وخاصة إذا كان أحد طرفي الزواج قادماً من دولة ينتشر فيها الوباء(موقع وكالة معا الاخبارية).

في أواخر عام 2019م بدأ فايروس كورونا (كوفيد 19) في الانتشار انطلاقاً من الصين نحو مختلف دول العالم بما فيها فلسطين، وينتمي هذا الفايروس إلى عائلة معروفة بتأثيرها على الإنسان والحيوان، يسمى كورونا فيريدي، اكتشف أول مرة عام 1960م، وتضم هذه العائلة فايروس (SARS) الذي ظهر في الصين عام 2002م، وفايروس (MERS) الذي ظهر في السعودية عام 2012م، وسمي هذا الفايروس بوكوفيد 19 أو كورونا المستجد، وقد شهدت مدينة بيت لحم بداية انتشار فايروس كورونا وصولاً إلى باقي المحافظات الفلسطينية الأخرى وبنسب متفاوتة (سلامة، *2020* 34).

أُطلق على هذا المرض (COVID-19) والاسم الإنجليزي للمرض مشتق كالتالي "CO" : هما أول حرفين من كلمة كورونا (corona)، "VI" هما أول حرفين من كلمة فيروس (virus) ، "D" هو أول حرف من كلمة مرض بالإنجليزية disease) ، ويسبب حمى والتهاباً بالجهاز التنفسي، وقد يؤدي إلى الوفاة، وحتى الآن لا يوجد له علاج و لا لقاح، ولكن من يتمتعون بصحة جيدة ومناعة قوية يتعافون منه، وينتقل الفايروس من شخص لآخر أثناء فترة الحضانة 1- 14 يوماً) أي قبل ظهور المرض (سلامة 34).

لا أحد يعلم مصدر الوباء وسببه الحقيقي، فمنهم من يقول إن أمريكيا اختلقت الفايروس لضرب اقتصاد الصين، علماً بأن الصين لم تتهم أحداً، والبعض يقول إن الفايروس تسلل بالخطأ من إحدى المختبرات الصينية، وآخرون يزعمون أن الصين تعمدت اختلاق الأزمة لأهداف اقتصادية، منها شراء أسهم الشركات الأجنبية العاملة في الصين بأسعار زهيدة، ومهما يكن فلا شك أن الفايروس موجود حقيقة، فهناك الكثير من النظريات التي تخرج يومياً من العلماء ورجال الدين والإعلاميين عن طرق الوقاية، فيجب أن لا نقلل من خطورة الوباء أو نتعامل معه كأمر عرضي (سلامة 35).

الملاحظ أن فلسطين كانت من بين أقل الدول في عدد الإصابات والوفيات حتى نهاية أيار 2020م، وقد أعلنت السلطات الفلسطينية عن حظر دخول السياح من عدة دول حول العالم، وذلك ضمن إجراءاتها الاحترازية لمنع انتشار الفيروس في فلسطين، وأقرت سلسلة من إجراءات السلامة الداخلية بعد الاشتباه بوجود إصابات بالفيروس في بيت لحم (قناة الجزيرة، *السياح يتقلصون في زمن كورونا* .. بيت لحم الفلسطينية تعاني الركود) ، وبعدها بدأت موجه ثانية من الجائحة أشد، وصارت أعداد الضحايا في ازدياد مستمر(سلامة 42) .

ومنذ وقت مبكر سارعت السلطة الوطنية الفلسطينية لفرض إجراءات صارمة لمنع انتشار وباء الكورونا، ملزمة الناس بالبقاء في منازلهم، وعدم التنقل إلا للضرورة القصوى، كأحد أشكال الحجر الصحي التي عرفتها فلسطين منذ مئات السنين لمواجهة الأوبئة التي أهلكت العباد خلال القرون الماضية، وغيرت الخارطة السكانية في فلسطين أكثر من مرة، كما شملت إغلاق الحدود، ومنع التنقل بين المدن، وتحديد ساعات التجول، وإغلاق الأماكن العامة، والمحلات التجارية، والمدارس والجامعات والمساجد والكنائس، وقد نجحت السلطة الفلسطينية في حماية المجتمع الفلسطيني من تفشي فايروس كورونا، بسبب انضباط المجتمع، والحالة الاقتصادية لم تكن متفاقمة كثيراً، الأمر الذي أدى إلى خروج المجتمع الفلسطيني من الوباء بأقل الخسائر (سلامة 42).

بدأ التحول في الممارسة نحو العكس في فلسطين مع مطلع شهر حزيران 2020م، إذ جاءت مناسبة عيد الفطر وتجمع الناس في هذه المناسبة، كما شهد هذا الشهر مناسبات الأعراس المؤجلة، والعودة إلى الصلاة في المساجد بعد دعوة حزب التحرير الإسلامي بالعودة إلى الحياة العامة لعدم اقتناعهم بإغلاق المساجد لأي سبب كان (انظر بيان حزب التحرير بعنوان " :جواب سؤال: تداعيات فيروس كورونا "المنشور في موقع المكتب الإعلامي للحزب في فلسطين)، واعتبروها مؤامرة على الإسلام والمسلمين، بهدف إبعاد الشباب عن المساجد من خلال إغلاقها بحجة وجود وباء قاتل (انظر: "*كتاب مفتوح من حزب التحرير في الأرض المباركة فلسطين إلى المفتي العام ودوائر الإفتاء والأئمة والخطباء*" المنشور في موقع المكتب الإعلامي لحزب التحرير في فلسطين، بتاريخ 12 أيار/ مايو 2020). وبالمقابل هناك النقيض من غير الإسلاميين الذين رأوا في وباء كورونا مؤامرة على القضية الفلسطينية بهدف عزل الشعب وإلهائهم في وباء وهمي لا صحة له، وتدمير الاقتصاد الفلسطيني لتمرير عمليات سياسية مثل ضم الأغوار وإنشاء المستعمرات الإسرائيلية وصفقة القرن، فقد دعا هؤلاء إلى فتح الأسواق ورص الصفوف لمواجهة هذه الأخطار(انظر: عمر حلمي الغول " خطيئة عطوان لا تُغتفر " " الحياة الجديدة" (رام الله)).

تزامنت دعوة حزب التحرير الإسلامي مع مجموعة عوامل ساعدت على انتشار الفايروس وهي: صعوبة وصول قوات الأمن الفلسطيني إلى منطقتي (ب، ج) حيث السيطرة الأمنية الإسرائيلية، الأمر الذي ساعد الناس في اختراق أوامر العزل والحجر الصحي، ونفاد مدخرات الناس، مما اضطرهم إلى العودة إلى العمل في الداخل الفلسطيني المحتل، بسبب ضعف الاقتصاد الوطني، والاعتماد على سوق العمل داخل الأراضي المحتلة، بالإضافة إلى توقف الحياة الاقتصادية والخدماتية والتعليمية، وملل الناس من العزل الطويل داخل البيوت.

لعب الاحتلال الإسرائيلي دوراً في ارتفاع نسبة الإصابات في فلسطين، خصوصاً أن فلسطين مقسمة إلى ثلاث مناطق (أ، ب، ج)، وتخضع المنطقة (ج) لسلطات الاحتلال إدارياً وعسكرياً، بينما تتقاسم السلطة الفلسطينية الصلاحيات مع الاحتلال الإسرائيلي في المنطقة (ب)، وتنفرد السلطة الفلسطينية بالمنطقة (أ)، وهذا يعني أن الحركة والتنقل والتجمعات مرتبط في كل المناطق بالطرف الإسرائيلي(*See site of The Cyber Shafarat – Treadstone* 71, 3/4/2020). لذلك فرضت القيود على الحركة لكل من المرضى والطواقم الطبية، ومشكلة الحصول على تصاريح انتقال العلاج، وكثافة نقاط التفتيش الأمنية الإسرائيلية الثابتة

والمتحرك (WHO occupied Palestinian territory, Right to Health 2018).

بالإضافة إلى مشكلات العمال الفلسطينيين في الأراضي المحتلة والمستوطنات داخل الأراضي الفلسطينية (Report of the Director-General, The situation of workers of the occupied Arab territories, 2017). وفي نفس الوقت عانى الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، حيث تضم بعض السجون 400 سجين في مكان واحد، مما يزيد من احتمال انتقال الفايروس بينهم، وخاصة أن منهم من يعاني أوضاعاً صحية تجعل مناعتهم في حدها الأدنى.

النتائج

من النتائج التي انتهى إليها البحث ما يلي:

1- السيطرة على الوباء ومنع انتشاره من خلال العزل والحجر الصحي.

2- كان طاعون عمواس في بلاد الشام هو الوحيد في عصر الخلافة الراشدة.

3- واكبت فلسطين التقدم العلمي في مجال الطب والصيدلة، فقد نبغ العرب والمسلمون في صناعة الطب وتركيب الأدوية؛ نتيجة اهتمام الخلفاء بالعلوم الطبية.

4- حملت القوات البريطانية الانفلونزا معها إلى فلسطين في أوائل أيلول 1918م، ما أدى إلى تفشي الوباء في فلسطين وبين طرفي الحرب، ولعلها أسهمت في هزيمة القوات العثمانية.

5- لم تنجح الدراسة في تحديد معدل الوفيات بين السكان، لكنها استنتجت أنها كانت كبيرة.

6- يأمل الباحث أن تسهم دراسته في تحفيز المزيد من البحوث حول الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت تلك الفترة.

7- وجوب الأخذ بأسباب الوقاية والعلاج مع القناعة والاعتقاد بأنه لا مفر من قدر الله.

8- وجوب تجنب أماكن العدوى، والالتزام بقواعد الحجر الصحي التي تحددها الحكومة والهيئات الطبية المختصة.

9- التقيد بإرشادات وتوجيهات ونصائح الجهات الرسمية والهيئات الطبية؛ لأنها الأكثر معرفة بتفاصيل المرض والأوبئة.

10- للأوبئة آثار اقتصادية ارتبطت بشكل أو بأخر بتراجع المستوى المعيشي لفلسطين إلى أدنى المستويات.

11- جائحة كورونا هي ظاهرة عالمية عمت البشرية جمعاء، فلم تترك بقعة من الأرض إلا وتغلغلت فيها، بينما انحصرت الأوبئة السابقة في مناطق جغرافية محددة.

التوصيات:

أوصي المهتمين بالعلم بدعم جهود الباحثين للعمل على إخراج الكثير من المخطوطات الطبية للنور من خلال تحقيقها ونشرها.

ارتداء المعدات الطبية للحماية الشخصية الأساسية للعاملين الصحيين، عند تعاملهم مع المرضى *المصابين*.

المصادر والمراجع:

- القران الكريم.
- العهد الجديد.

المعاجم:

- مصطفى، إبراهيم، واخرون، (د. ت)، ***المعجم الوسيط***، 1، تح: مجمع اللغة العربية، د.ن، د.م.

المصادر:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، 2006م)، *الكامل في التاريخ*، 8، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن اصيبعة، موفق الدين ابي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، 1996م)، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، 1، تحقيق: عامر النجار،دار المعارف، مصر.
- ابن اياس، محمد بن احمد، 1975م)، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، 1، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله اللواتي، 1981م)، *تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار*، تحقيق: علي منتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن حنبل، احمد بن محمد، 2006م)، *المسند*، 12، تحقيق: احمد محمد شاكر، رقم الحديث 15373، دار الحديث، مصر.
- الحنبلي، مجير الدين، 1999م)، *الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل*، م 2، تح: محمود عودة الكعابنة، مكتبة دنديس، الخليل.

- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع، 1968م)، *الطبقات الكبرى*، 5، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود، 1970م)، *نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان*، 2، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة.

- العسقلاني، احمد بن حجر، 1411هـ)، *بذل الماعون في فضل الطاعون*، تح: احمد عصام الكاتب، دار العاصمة، الرياض.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، 1990م)، *البداية والنهاية*، 7، مكتبة المعارف، بيروت.

- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، 1970م)، *السلوك في معرفة دول الملوك*، 4، تحقيق: سعيد عاشور، دار الكتب، القاهرة.

- ابن يحيى، صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين، 1967م)، *تاريخ بيروت وهو أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت*، تحقيق: فرنسيس هوس اليسوعي، دار المشرق، بيروت.

الكتب:

- بركات، بشير عبد الغني، 1016م)، *تاريخ الكوارث في بيت المقدس*، دار المقتبس، بيروت.

- جوكتشة، حسين وزملاءه، 2016م)، *السلاطين الأوائل، عصر تأسيس الدولة العثمانية*، ترجمة: سمير عباس زهران، دار النيل، تركيا.

- أبو الحب، جليل، 1982م)، *الحشرات الناقلة للأمراض*، عالم المعرفة، الكويت.

- الدباغ، مصطفى مراد، 2006م)، *بلادنا فلسطين*، 8، دار الهدى، باقة الغربية.

- الدويهي، اسطفان، 1976م)، *تاريخ الأزمنة*، نشره بطرس فهد، مطابع الكريم الحديثة، بيروت.

- روجرز، ماري اليزا، 2012م)، *الحياة في بيوت فلسطين 1855- 1859)*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- السباعي، مصطفى، 1998م)، *من روائع حضارتنا*، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

- سعيد، حسن إبراهيم، 2008م) *يافا من الغزو النابليوني إلى حملة إبراهيم باشا 1799- 1831م)*، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رام الله.

- صافي، خالد محمد، 2019م)، *الحكم المصري في فلسطين*، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

- الصوري، وليم، 1992م)، *تاريخ الحروب الصليبية*، 2، ترجمة حسني حبشي، الهيئة العامة للكتاب، مصر.

- الطبابي، بلقاسم، 2014م)، *الموت في مصر والشام 1250- 1517)*، 1، الدار التونسية للكتاب، تونس.

- العكبري، عبيد الله بن محمد بن حمدان بن بطة، 1994م)، *الإبانة الكبرى*، 4، دار الراية للنشر والتوزيع، بيروت.

- محسوب، محمد صبري، وزميله، 2000م)، *الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة معالجة جغرافية*، دار الفكر العربي، القاهرة.

- هلون، معين، 2019م)، المعجم التأثيلي للألفاظ الأعجمية في اللهجة الفلسطينية، جامعة بيت لحم، بيت لحم.

- واتس، شلدون، 2010م)، *الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة الامبريالية*، ترجمة: أحمد عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، مصر.

المجلات والصحف:

- الجعفر، زين العابدين موسى، 2010م)، *وباء الطاعون في الإسلام واصابة المشهورون به حتى نهاية العصر الاموي*، مجلة جامعة كربلاء العلمية، م 8، 1.

- رحيل، محمد فوزي، 2020م)، *الفرسان المجذومين- حين يكون المرض سلاحاً-* المجلة العربية، دار المجلة العربية للنشر والترجمة، العد 522.

- سلامة، عبد الغني، 2020م)، *جائحة كورونا: الأداء الفلسطيني في مشهد عالمي متقلب*، مجلة سياسات، عد 49- 50، رام الله.

- الطراونة، مبارك محمد، 2010م)، *الأوبئة واثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الشراكسة*، المجلة الأردنية للتاريخ والاثار، عمان.

- فاضل، نصير بهجت، 2011م)، *الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الاموية*، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق.

الرسائل العلمية:

- صلاح، محمد حمزة، 2009م)، *الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر 491هـ 197م-923هـ 1517م)*، رسالة ماجستير، جامعة غزة الإسلامية، غزة.

الكتب الأجنبية:

-Nadav Davidovitch and Zalman Greenberg, *Public Health, Culture, and Colonial Medicine, Smallpox and Variolation in Palestine during the British Mandate, Public Health Reports*, Vol, 122, no. 3, May-June, 2007.

-Palestine and Transjordan Administration Reports 1918-1948, Vol 13, 1945, London, Archive, 1955.

-Salam Abu Sitta, *Traces of Poison- Israels Dark History Revealed*, Palestine Land society.

-Thomas chaplin, *The Fevers of Jerusalem, some Account of their Nature, Causes, and Teatment, as observed in the years 1861, 1862 and 1863, The lancet*, Vol, 84, issue, 2141, September, 10, 1846.

-Vicken V. *Kalbian, Reflectian on Malaria in Jeruslem, Jeruslem Qaurterly*, issue 67, Autumn, 2016.

مواقع الانترنت:

-The Nuclear Threat Initiative, Israel overview, https://www.nti.org/learn/countries/israel

-https://www.who.int/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/question-and-answers-hub/q-a-detail/coronavirus-disease-covid-19-similarities-and-differences-with-influenza

-https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/swine-flu/symptoms-causes/syc-20378103

-http://site.moh.ps/

-https://www.maan-ctr.org/magazine/Archive/Issue15/main_topic3/topic3.htm

-https://www.maannews.net/news/47381.html

-See site of The Cyber Shafarat – Treadstone 71, 3/4/2020, https://cybershafarat.com/2020/04/03/10-potential-negative-scenarios-in-israels-strategic environment-following-corona-outbreak-from-the-israeli-national-security-studies/; site of BBC, 18/11/2019, https://www.bbc.com/news/world-middle-east-38458884; and WHO occupied Palestinian territory, Right to Health 2018 (WHO; 2019), http://www.emro.who.int/images/stories/palestine/documents/who_right_to_health_2018 web-final.pdf?ua=1

-- WHO occupied Palestinian territory, Right to Health 2018.

- -Report of the Director-General, The situation of workers of the occupied Arab territories, International Labour Conference, Geneva, 106th Session, 2017, https://www.ilo.org/wcmsp5/groups/public/—ed_norm/ relconf/documents/meetingdocument/wcms_554441.pdf

- جبور، القس معين، *كنيسة القديس جورجيوس بفلسطين تسعى للسياحة العالمية*، موقع عربي 21، الاحد 3 مايو/أيا 2015م.

- العقرباوي، حمزة، *تاريخ الحجر الصحي في فلسطين*، https://tinyurl.com/tc2thy4

- الغول، عمر حلمي: 2020م)، خطيئة عطوان لا تُغتفر، *الحياة الجديدة*، رام الله . http://www.alhayat-j.com/ar_page.php?id=53185b3y87131571Y53185b3

- *كتاب مفتوح من حزب التحرير في الأرض المباركة فلسطين إلى المفتي العام ودوائر الإفتاء والأئمة والخطباء*" المنشور في موقع المكتب الإعلامي لحزب التحرير في فلسطين، بتاريخ 12 أيار/ مايو 2020، في الرابط الإلكتروني التالي https://tinyurl.com/y4kxpy4q

- المكتب الإعلامي لحزب التحرير،(2020)، بيان حزب التحرير بعنوان "جواب سؤال: تداعيات فيروس كورونا". https://pal-tahrir.info/hizbuttahrir-at-world/11892

- قناة الجزيرة، 2020م)، *السياح يتقلصون في زمن كورونا .. بيت لحم الفلسطينية تعاني الركود* https://www.aljazeera.net/ebusiness